Journal of Islamic Sciences
Volume (5), Issue (6) : 30 Dec 2022
P: 105 - 118

ISSN: 2664-4347

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد (5)، العدد (6) : 30 ديسمبر 2022م
ص: 105 - 118

The Quranic approach in Taking Covenants from the Sons of Israel and the Impact of Breaking Them

Afaf Makkawi Mohammed Gaily

College of Science & Humanity Studies in Sulail || Prince Sattam bin Abdalaziz University || KSA

Abstract: This search aims at explaining the grounds and rules of divine approach in taking covenants from the sons of Israel and showing the impact of their breaking of covenants. In this search, the analytical descriptive methodology will be used, taking into account the nature of the research and its reliance on the main sources of the Quranic interpretations and viewing the commentaries of Quran interpreters.

The search has reached a number of findings, of the most prominent are the following:

1. The word "covenant" is mentioned repeatedly in the Glorious Quran with different meanings.
2. The Glorious Quran has adopted a unique approach in addressing the sons of Israel, represented in the various styles that are in line with their attitudes and tendencies.
3. The approach of the Quran is described of realism in addressing the issue of making covenants with the sons of Israel.
4. Diversity of punishments resulted from the sons of Israel's breaking of their covenants in certain verses (Ayahs) pertaining to them shows the retribution of breaking covenants in this life and the life to come.

Keywords: The Quranic approach – Covenants – Sons of Israel.

منهج القرآن الكريم في أخذ العهود على بنى إسرائيل وبيان آثار نقضها عليهم

عفاف مكاوي محمد قيلي

كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالسليل || جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز || المملكة العربية السعودية

المستخلص: هَدفَ هذا البحثُ إلى بيان أُسُس وقواعد المنهج الربَّاني في أخذِ العهود على بني إسرائيل وإبراز الآثار المترتبة على نقضهم لتلك العهود، معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي، مع ما تقتضيه طبيعةُ هذا البحثِ من التعويل على المصادر الأساسيَّة في التفسير، وعرض أقوال المفسرين في ذلك.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج، أبرزها:

1. ورود لفظ (عهد) في القرآن الكريم عدة مرات، وتكراره بمعانٍ مختلفة.
2. اتَّخذ القرآن منهجًا فريدًا في مخاطبة بني اسرائيل، يتمثَّل في تنوع الأساليب بما يتَّفق مع طِباعِهم وميولهم.
3. يتَّصف المنهج القرآني بالواقعيَّة في معالجته لقضيَّة العهود مع بني إسرائيل.
4. تنوع العقوبات المترتبة على نقض بني إسرائيل للعهود في آياتٍ خاصَّة بهم، تبيّن الجزاء على ذلك في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: منهج القرآن - العهد – بني إسرائيل.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفُسِنا وسيِّئات أعمالِنا، من يَهدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله.

أمَّا بعدُ:

يعدُّ القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، ويتَّسم بمنهجٍ أصيلٍ وأساليبَ واضحة في وضع الأسس والقواعد لتنظيم شؤون العباد، وله منهجيَّة فريدة في تناول القضايا باختلاف موضوعاتها وأهدافها. وتعتبر الأخلاق من القِيَم السامية التي وضع الله لها دستورًا وضوابطَ في التعامل مع الله سبحانه، ومع بني آدم. وعليه؛ فإنَّ هذا البحثَ يعرض منهج القرآن في أَخْذِ العهود على بني إسرائيل، ويوضح العقاب الذي حلَّ بهم في الدنيا وسيحلُّ بهم في الآخرة، جرَّاءَ نقضِهم لتلك العهود.

أ- أهمية البحث:

1- تبرز أهمية هذا البحثِ في أنَّه يتناول موضوع المنهج القرآني في أَخْذِ العهود على بني إسرائيل، وبيان آثار نقضِ تلك العهود؛ وذلك من خلال تفسير الآيات الخاصَّة بذلك، فمعرفةُ مثلِ هذه القضايا وما يترتَّب عليها يساهم مساهمةً فعَّالة في تربية المسلمين تربيةً أخلاقيَّة سليمة؛ وذلك لتجنُّبِها لهذه الأخلاقِ السيِّئة.

2- يمكن أن يُسهِم هذا البحثُ في إثراء المحتوى العلمي فيما يتعلَّق بالعهود، والأخذ بمنهجيَّة القرآن الكريم في التعامل مع هذه القضايا، لا سيَّما وأنَّ المجتمع في هذا العصرِ قد ازدادت الحاجةُ فيه إلى الرجوع إلى القِيَم الإسلاميَّة.

ب- أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1- الكشف عن أهمية الوفاء بالعهود؛ لأنَّها من الواجبات في جانب الخالق، كما أنَّها من الدعائم الأساسية للمحافظة على العلاقات بين الناس.

2- توضيح المنهج القرآني في أَخْذِ العهود على بني إسرائيل، وبيان الأساليب المتعدِّدة في مخاطبتهم.

3- إبراز الآثار التي ترتبت على نقض بني إسرائيل العهودَ، وبيان العقوبات الدنيويَّة والأخروية، من خلال الآيات القرآنيَّة الخاصَّة بها.

ج- مشكله البحث:

السؤال الرئيس: ما المنهج المستخدَم في القرآن الكريم لأخذ العهود على بني إسرائيل؟ ويتفرع منه سؤال آخر: ما آثار نقض العهود على بني إسرائيل؟

د- حدود البحث:

ينحصر البحث في النصوص القرآنية، وأقوال المفسرين.

هـ- منهج البحث:

المنهج المتَّبَع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي. الذي يعتبر أحد المناهج التي يستخدمها الباحث وذلك بجمع المعلومات والبيانات ، ووضع أسئلة البحث وفروضه ، ثم تفسير البيانات ومناقشتها للتوصل إلى النتائج. وهذا

ما تم إجراءه في هذا البحث وذلك بجمع الآيات القرآنية التي لها علاقة بموضوع البحث وتفسيرها من كتب التفسير التحليلي والرجوع إلى دلالات الألفاظ ومعانيها في اللغة وفي القرآن الكريم ،ثم الشرح والمناقشة وإبراز النتائج .

و- الدراسات السابقة:

لا تتوفر دراسات مستقلَّة عن موضوع هذا البحث، ولكن هناك مؤلَّفات عديده لها علاقه به، ومن هذه المؤلفات:

1- الوفاء بالعهود والمواثيق في الشريعة الإسلامية، للمؤلف عبد الله بن محمد الحجيلي.
2- العهد والميثاق في القرآن، للمؤلف ناصر العمر.
3- نقض العهود والمواثيق من جبلة اليهود، المؤلف مصطفى مسلم.
4- الأخلاق في الإسلام، للمؤلف كايد قرعوش وآخرين.

إلَّا أنَّ ما يميز هذا البحثَ هو التركيز على بني إسرائيل في نقضهم للعهود، وبيان آثار ذلك النقض عليهم؛ وذلك بمخاطبتهم بأساليبَ متعدِّدة، ومنهج قرآني فريد.

ز- خطه البحث:

يحتوي البحث على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: تضمَّنت أهميَّة البحث، وأهدافه، ومشكلة البحث، وحدوده، والمنهج المتَّبَع في البحث، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: العهود.

المبحث الثاني: المنهج القرآني في مخاطبة بني إسرائيل بشأن العهود، وبيان الآثار المترتبة على نقضهم.

الخاتمة: تتضمن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: العهود

المطلب الأول: تعريف العهد وورود لفظه في القرآن الكريم

أ- تعريف العهد لغةً: يُطلَق لفظ (العهد) في اللغة ويراد به عدةُ معانٍ، ذكر ابن منظور عددًا منها في لسان العرب؛ حيث قال: (العهد هو كل ما عوهد الله عليه، وكلُّ ما بين العباد من المواثيق... والعهد: الوصية... والعهد: الذي يُكتب للوُلاة... والعهد: الموثق، واليمين يحلف بها الرجلُ، والعهد: الأمان، وكذلك الذِّمَّة)[1].

وقال الزَّبيدي: (معنى العهد: التوحيد)[2].

والعهد بهذه المعاني اللغوية يشتمل على كل ميثاق ووعد بين العباد وخالقهم وذلك بتوحيده والإلتزام بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . وكذلك ما كان بين العباد ، سواء كان بين المسلمين ،أو بينهم وبين أهل الذمة على أن يدفع الجزية مقابل إقامته ببلاد المسلمين. أو العهود التي تقع مع غير المسلمين بإختلاف طوائفهم ، كما يتضمن كل ميثاق بين شرائح المجتمع كالعهد الذي يكتبه ولي الأمر للولاة يلزمهم فيه بالقيام بما يصلح الرعية .

(1) ابن منظور، لسان العرب (3/311-312)، (ع هـ د).

(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (5/146)؛ الجرجاني، التعريفات (159).

أمَّا مفهومُ العهد في الاصطلاح؛ فقد تعدَّدت معانيه لتعدُّدِ أنواع العهود واختلافها. وقد ذكر العلماء عددًا من التعريفات الاصطلاحيَّة:

قال الجُرجاني: (العهد: حفظُ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال. هذا أصلُه، ثم استُعمِل في الموثق الذي تلزم مراعاته، وهو المراد)[3].

أمَّا الأصفهاني؛ فيرى (أنَّ المُعاهَد في عُرف الشرع يختصُّ بمن يدخل من الكفار في عهد المسلمين، وكذلك ذو العهد... وباعتبار الحفظ، قيل: الوثيقة بين المتعاقدين عهدة. وقولهم: في هذا الأمرِ عُهدةٌ، لما أُمر به أن يُستوثَق منه)[4].

وقال صاحب النكت والعيون: (إنَّه التزامُ أحكامِ الدين بعد الدخول فيه)[5].

ومن خلال إبراز هذه المعاني نلاحظ العلاقة الوثيقة بين المعنى اللغوي والإصطلاحي ، إذ لم يخرج المعنى الذي ذهب إليه العلماء في المصطلح عن المعنى اللغوي .

ب- ورود لفظ (عهد) في القرآن الكريم:

ورد لفظ (عهد) واشتقاقاته في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة .

قال ناصر العمر: (وردت لفظة (عهد) وما اشتُقَّ منها ستًّا وأربعين مرةً، وفي ستٍّ وثلاثين آيةً من كتاب الله في سبع عشرة سورة من سُوَر القرآن الكريم)[6]. ومن أمثلة هذه المشتقات : عهدا - عهده _ بعهده – بعهدي – بعهد الله- بعهدكم –بعهدهم – عهدي –عاهد – عاهدتم –عاهدت – عهد .

وقد فسر المفسرون لفظ (العهد) ومشتقاته بمعانٍ متعددة ، ويرجع السبب في ذلك الى سياق الآية، فقد يأتي اللفظ بمعنى معين ويختلف معناه في سياق آخر، مما يبرهن على بلاغة القرآن الكريم.

ففي قوله سبحانه: { **وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ** }البقرة /40.

فسَّره ابنُ عاشور بأنَّه (الالتزام للغير بمعاملةٍ التزامًا لا يُفرِّط فيه المعاهد حتى يفسخاه بينهما)[7].

أمَّا القرطبي عند تفسيره لقوله سبحانَه: { **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** } البقرة/124 ؛ فقد ذكر عدَّةَ أقوالٍ عن الصحابة والتابعين: (روى أبو صالح عن ابن عباس أنه النبوة. وقال مجاهد: إنَّه الإمامة. وقال قتادة: الإيمان. وقال عطاء: الرحمة. وقال الضحَّاك: دين الله تعالى)[8].

كذلك ورد لفظ العهد في القرآن بمعنى الوصيَّة، والأمر بها.

وقال الطبري عند تفسيره لقوله سبحانه: { **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**} البقرة/27 (وقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إيَّاهم بطاعته، ونهيُه إيَّاهم عن معصيته)[9].

وقد فسَّر بعضُ المفسرين (العهد) بأنَّه أوامر الله سبحانَه، والالتزام بها؛ قال السعدي عند تفسيره لقوله: { **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا** } البقرة: 177: (العهد هو الالتزام بإلزام الله وإلزام العبد لنفسه، فدخل في ذلك الحقوقُ كلُّها؛ لكون اللهِ ألزم بها عبادَه والتزموها)[10].

---

(3) الجرجاني، التعريفات (159).

(4) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (455/1).

(5) الماوردي، النكت والعيون (210/3).

(6) انظر: ناصر عمر، العهد الميثاق في القرآن الكريم (10).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير (453/1).

(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (108/2).

(9) الطبري، جامع البيان (410/1).

وقد ورد العهد في كثيرٍ من الآيات القرآنيَّة بمعنى الميثاق، كما في قوله سبحانه: { **الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ** } الأنفال/56 .

قال الطبري: (وأمَّا العهدُ؛ فإنَّه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربَّهم ليعملنَّ بما في التوراة مرةً بعد أخرى، ثم نقض بعضُهم ذلك مرةً من بعد أخرى)[11].

كما فسَّر بعضُ المفسرين (العهد) بأنَّه الأمانة؛ ففي تفسير قوله سبحانه: { **بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**} آل عمران/76.

قال ابن عاشور: ({من أوفى بعهده}؛ أي: لم يَخُنْ؛ لأنَّ الأمانة عهدٌ)[12].

ذكر المفسرون معانٍ كثيرة للفظ العهد ومشتقاته بإختلاف مواقعها في السور القرآنية و قد جاءت مطابقة للمعاني اللغوية ، ولا غرو في ذلك فاللغة العربية من أهم المصادر في معرفة الألفاظ القرآنية ، كما أن الإحاطة بها من الشروط الأساسية لمفسر كلام الله سبحانه .

المطلب الثاني: أنواع العهود في القرآن الكريم وحكم الوفاء بها

1- أنواع العهود في القرآن الكريم:

بيَّن القرآن الكريم أنواع العهود في كثيرٍ من الآيات القرآنيَّة، وحثَّ الشارع الحكيم على الوفاء بها، والتزامها مع الله -عزَّ وجلَّ- ومع عباد الله، وكذلك الالتزام بالعهود والمواثيق بين الدول.

أ- العهد مع الله سبحانه وتعالى:

يعتبر هذا النوع من أعظم العهود وأحقِّها بالوفاء، وأعلاها منزلةً وأرفعها شأنًا؛ لأنَّها ترتبط بالخالق جلَّ وعلا.

وقد أخذ الله على عباده عهودًا كثيرة، أولها: العهد مع بني آدم وهم في صُلب أبيهم، كما في قوله سبحانه: { **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**}. الأعراف/172

وقد تضمَّنت بعض العهود مع بني آدم الأمرَ بعبادته وحدَه، والإقرار بربوبيَّتِه في قوله سبحانه: { **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**}. يس/ 60، 61.

قال الشوكاني في تفسير هذه الآيات: (قيل: المراد بالعهد هنا الميثاق المأخوذ عليهم حين أُخرجوا من ظهر آدم... ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان، وفي عبادتي هذا صراط مستقيم؛ أي عبادة الله وتوحيده، أو الإشارة إلى دين الإسلام)[13].

فكلُّ مسلم يشهد أن لا إلهَ إلَّا الله محمد رسول الله؛ فقد قطع على نفسه عهدًا بأنَّه يعبد اللهَ وحدَه، ويُقيم الأحكام والشرائع وفق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك مبايعته لكلِّ مَن أسلم في الفترة المكيَّة، وتكرَّرت المبايعة له في كثيرٍ من الأمور؛ مثل: بيعة الحديبية، وغيرها.

وقد أمر الله –سبحانه- المسلمين بالوفاء بعهده، كما في قوله سبحانه: { **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** }.النحل/ 91.

---

(10) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (83/1).

(11) الطبري، جامع البيان (2/ 400).

(12) ابن عاشور، التحرير والتنوير (289/3).

(13) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية من علم التفسير (433/4).

قال ابن عاشور: (وإضافة العهد إلى الله؛ لأنَّهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام الذي دعاهم الله إليه؛ فهم قد عاهدوا الله)[14]. والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي بلّغ رسالة الله جل وعلا فمعاهدته بإلتزام ماجاءت به شريعته هي بمثابة العهد مع الله سبحانه .

والعهد كذلك بمعنى القسم والحلف بالله، ومن العهود مع الله –سبحانه- النذرُ؛ فكلُّ مَن نَذَرَ لله نذرًا فقد عاهَدَ اللهَ عهدًا يجب الوفاء به؛ وقد مدح الله –سبحانَه- هؤلاء بقوله: { **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** }. الإنسان/7.

وكما أمر الله –سبحانه- بالوفاء بعهده، فقد بيَّن أنَّه من صفات المؤمنين وشِيَم المتَّقين، كما في قوله –سبحانه-: { **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** } الأحزاب/ 23.

ب- العهود مع عباد الله:

وهي العهود التي تقع بين الناس، وقد تكون بين المسلمين مع بعضهم، أو بين المسلمين والكفار، ويُشترط فيها ألَّا تكون عقودًا محرَّمة. فأمر الله سبحانه بالوفاء بها في قوله {**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** } الإسراء /34 . أي أن العبد مسئول يوم القيامة عن الوفاء به . ومن أمثلة العهود مع العباد :

1. العهد بين ولي الأمر ورعيَّته؛ فأمر الله سبحانه الوفاء به كما في قوله {**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** } **النساء /58-59** . فيجب على ولي أمر المسلمين أن يفي بعهده تجاه رعيته فيتعهدهم بما فيه صلاحهم ، وكذلك على الرعية الوفاء بعهدهم و ذلك بإمتثال السمع والطاعة له .
2. العهد بين الزوجين، وهو العقد الذي يُلزم كلًّا منهما القيام بحقوق الآخَر عليه؛ فقد سمَّاه الله –سبحانه- بالميثاق الغليظ، في قوله{ **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } النساء /20-21
3. عقود المعاملات كالبيع والإجارة ، وغيرها. فقد أمر سبحانه بالوفاء بها في قوله {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** } **المائدة/1** . وهذا الأمر عام يشمل جميع العقود بين العباد .
4. الوفاء بالكيل والميزان : { **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ** } **الانعام /152**

وهو من العقود المهمة بين المسلمين . وترتبط بالقيم الأخلاقية للفرد المسلم ، والوفاء بالكيل والميزان به ينأى المسلم عما نهى الله سبحانه عنه مثل التطفيف الذي يلازمه الغش والخداع .

ج- العهود بين المسلمين وبين الدول الأخرى:

دعا الإسلام إلى عقد المعاهدات مع جميع الأُمَم؛ سواءٌ كانوا مسلمين، أوغيرهم، أو من أهل الكتاب أوغيرهم؛ فإذا عاهَدَ وليُّ أمرِ المسلمين دولةً أخرى من دول الكفار، يجب على جميع الرعية الوفاء بهذا العهد؛ لأنَّ الله –سبحانه أمرهم بالوفاء بها كما في قوله سبحانه{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** }**المائدة: 1**.

(14) ابن عاشور، التحرير والتنوير (262/3).

وفيه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يتعاهد مع الكفَّار ويُتِمُّ العهدَ معهم، ما لم تصدر من جانبهم خيانة للعهد ، إمتثالا لأمر الله سبحانه في قوله{ **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** التوبة /4

ومنهم كذلك المشركين الذين استقاموا على عهدهم مع المسلمين عند المسجد الحرام ، فأمر الله سبحانه أن يستقيم المسلمون كذلك ولا ينقضوا عهدهم وميثاقهم معهم بقوله سبحانه{ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** التوبة /7

وقد عقد معهم النبي صلى الله عليه وسلم معاهدات كثيرة؛ كمعاهدات الصلح، والفداء، وفكِّ الأسرى.

فقد تعدَّدت هذه المعاهدات بتعدُّد الحاجة إليها وَفق ما يتطلَّبُه العصر، مع مراعاة الضوابط الشرعيَّة في ذلك.

2- حكم الوفاء بالعهود:

الوفاء بالعهد صفة حميدة، وخُلُق نبوي كريم؛ فقد اتَّصف به الأنبياء وأصبح سمةً معروفة عنهم، فقد قال الله سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}.[1]التوبة/114

كما اتَّصف النبي صلى الله عليه وسلم به، وربَّى المسلمين عليه، ورغَّبهم فيه ورهَّبهم من مَغَبَّة نقضِه الذي يجعلهم في عداد المتَّصِفين بالنِّفاق؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِن خان)[(15)].

كما أنَّ صفة الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين المتَّقين الأبرار، كما تؤكد على الصِّدق والاستقامة والخُلُق القويم.

ولمَّا كانت حياة الإنسان تنظِّمُها عقودٌ وعهود ومعاملات؛ فقد أوجب الإسلام الوفاءَ بها والتزامها، سواء كانت مع لله سبحانه، أو مع البشر فيما بينَهم، كما في قوله سبحانه: { **وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا** }.الأنعام/152

وقد بيَّن الله –سبحانَه- البرَّ الحقيقيَّ الجامع لأحكام الخير، وذكر منها الوفاء بالعهد لِمَا عاهدوا عليه؛ فقد قال سبحانه: { **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا** }.البقرة: 177.

وقد رغَّب الله –سبحانه- المسلمين في الوفاء بالعهد، وذكر الثواب العظيم الذي أعدَّه للموفين بعهدهم؛ مثل:

1- **الفلاح في الدنيا والآخرة:** فقد ذكر الله –سبحانه- في صدر سورة (المؤمنون) كثيرًا من الأعمال التي تؤدي إلى الفلاح، منها: قوله: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}. المؤمنون: 8.

فهم بذلك أصبحوا من المفلحين، الفائزين بالجنَّة، كما وعدهم بالخلود في الفردوس .

2- **جلب محبة الله للعبد:**

وهذا -لا شك- ثوابٌ عظيم، وذو أثر حسن؛ إذ يوفقه الله للطاعات، ويجعل له القَبول في الأرض، ويبثُّ له الطمأنينة في قلبه كما في قوله سبحانه: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}. **التوبة: 4**

(15) البخاري، صحيح البخاري (16/1)، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، حديث رقم (23).

3- **الأجر العظيم:**

قال الله سبحانه: {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.**الفتح:10.**

وقد وصف الله سبحانه الأجر الذي يجازي به الموفون بعهودهم بأنه (عظيم) مما يرمز لأعلى المنازل التي ينالونها .

4- **أن يكونوا من أولي الألباب** : **أي** أصحاب العقول السليمة والآراء الرشيدة، كما في قوله: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (*) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ} الرعد: 19-20.

المبحث الثاني: المنهج القرآني في مخاطبة بني إسرائيل بشأن العهود وبيان الآثار المترتبة على نقضهم لها

المطلب الأول: المنهج القرآني في مخاطبة بني إسرائيل بشأن العهود

يطلق لفظ (منهج) في اللغة على الطريق الواضح المستقيم، كما في قوله سبحانه: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}. المائدة: 48.

قيل: (نَهَجَ الطريقُ والأمر؛ أي: بانَ واتَّضح. والناهج هو السالك، وطريق منهوج بيّن، وطريقٌ نَهْجٌ: واسعٌ واضح... والمنهاج: الطريق الواضح)[16].

والمنهج اصطلاحًا: قال التهانوي: (المنهج ما يكون في حدِّ ذاته آلةً لتحصيل غيرِه، ولا بد أن يكون متعلقًا بكيفيَّة تحصيله، فهو متعلِّق بكيفيَّة عمل)[17].

وبناءً على هذا؛ فإنَّ المنهج هنا هو الطريق الذي يسلكه القرآن الكريم في أخذ العهود على بني إسرائيل، وذلك باستخدام عدد من الأساليب المتنوعة، تتناسب مع عقولهم وطبائعهم وأفكارهم، وقد كانت أساليب ناجحة، ومتَّفِقة مع غرائزهم؛ فالله –سبحانه- هو خالقهم، والمطَّلع على ما في نفوسِهم وأفئدتهم.

تعتبر العهود والمواثيق من التشريعات التي أنزلها الله –سبحانَه- بعد الهجرة، وهي مرحلة بناء المجتمع الإسلامي، وقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة عددًا كبيرًا من اليهود، بمختلف طوائفهم وأفكارهم . وعُرفوا بعد ذلك بمعصيتهم تجاهَ كلِّ تشريع، وقد كان للعهود التي أخذها الله عليهم حظًّا كبيرًا في ذاك االعصيان والنقض، فأصبحت سمةً بارزةً وصفة ملازمة لهم، كما في قوله سبحانه: {الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} الأنفال: 56 ، وقوله: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} البقرة:/ 100.

وهذا هو الواقع الذي يحكي غدرهم ونقضَم للعهود؛ (فقد غَدَرَ يهود بني قينقاع بعد غزوة بدر، وغدر يهود بني النضير بعد غزوة أُحد، وتجرَّأوا على المسلمين بعد ما أصابهم من غزوة أحد، وغدرت بني قريظة عهدهم يوم الأحزاب)[18]. وعلى الرغم من ذاك الغدر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملهم معاملة كريمة ، ويجادلهم بالتي هي أحسن إمتثالا لأمر الله سبحانه .

أما القرآن الكريم فقد استخدم منهجًا واضحًا ومناسبًا، و خاطبهم بأساليب متنوعة ، ومن هذه الأساليب:

---

(16) جمال الدين، مجمع بحار الأنوار (808/4).

(17) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (6/2).

(18) معالم قرآنية في تاريخ اليهود- موقع إسلام ويب- بتاريخ 2009/1/8م.

1- الخطاب العام:

وجَّه الله –سبحانه- الخطاب لهم جميعًا، فقال تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}. البقرة: 40.

قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: (وتوجيه الخطاب إلى جميع بني اسرائيل يشمل علماءَهم وعامَّتَهم؛ لأنَّ ما خوطبوا به هو من التذكير بنعمة الله على أسلافهم، وبعهد الله لهم)[19].

وفيه كذلك عهد معهم بأنَّهم إذا أوفوا بالعهود ولم ينقضوها، واعتنقوا الإسلام؛ فإنَّه سيَفِي بوعده معهم ويُدخِلُهم الجنَّة.

2- صيغة الأمر:

وردت آياتٌ كثيرة تبيّن خطابَ الله –سبحانه- لبني إسرائيل بشأن العهود بصِيَغ الأمر؛ كقوله سبحانه: {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا}. الأنعام: 152.

قال الشوكاني: (أي: أوفوا بكلِّ عهدٍ عَهِدَه اللهُ إليكم... ويجوز أن يراد به كلُّ عهدٍ ولو كان بين المخلوقين؛ لأنَّ الله –سبحانه- لمَّا أمر بالوفاء في كثيرٍ من الآيات، كان ذلك مسوغًا لإضافته إليه... أمركم به أمرًا مؤكدًا لعلكم تذكرون فَتَتَّعِظُونَ بذلك)[20].

3- صيغة الاستفهام:

ويقوم هذا الأسلوب على إشراك الطَّرَف الآخَر في الوصول إلى الهدف، عن طريق توجيه الأسئلة له؛ ليشهد على نفسه ببطلان رأيِه، وهو من أكثر الأساليب تكرارًا في القرآن الكريم.

فقوله سبحانه: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}. البقرة /100. فهذا هو الاستفهام التوبيخي الذي يوبِّخ فيه الله –سبحانه- بني إسرائيل فيما يقوم به جماعةٌ منهم، في تكرارهم لنقض العهود، وعدم الوفاء بها حتى أصبح عادةً متأصِّلة في نفوسهم؛ سواءٌ كان مع الله سبحانه، أو مع النبي صلى الله عليه وسلم، أو مع عباد الله.

4- أسلوب التفصيل بعد الإجمال:

الإجمال هو إيجاز واختصار، أمَّا التفصيل؛ فهو شرح الكلامِ زيادةً في بيانه. قال هاني خضر: (أسلوب التفصيل بعد الإجمال: هو أسلوبٌ بلاغي يَرِدُ فيه الكلام ابتداءً بإيجاز واختصار لغرضٍ بلاغي، ثم يتبعه بيان وتفسير محدَّد، ويربطهما رابطٌ معلوم)[21].

ولهذا الأسلوبِ في القرآن الكريم أغراض كثيرة، منها: التوكيد، وهذا هو الغرض المنوط به في هذا الجانب؛ فقد قال الله –سبحانه- مخاطبًا بني إسرائيل: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. البقرة: 63

قال الشوكاني: (والمراد أنَّه أخذ –سبحانه- عليهم الميثاق بأن يعملوا بما شرعه لهم في التوراة، وبما هو أعمُّ من ذلك أو أخص)[22].

---

(19) ابن عاشور، التحرير والتنوير (449/1).

(20) الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (202/2).

(21) هاني خضر مصطفى: أسلوب التفصيل بعد إجمال وأغراضه في القرآن الكريم (23).

(22) الشوكاني، فتح القدير (112/1).

ثم فصَّل هذا الميثاق والعهد بقوله –سبحانه-: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ} البقرة: 83.

ففي هذه الآية تفصيلٌ للميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل، وهو العمل بما جاء في شريعتهم فبيَّنه لهم مفصلًا، لعلهم يأتمرون بالأمر، ولكن –كعادتهم- تولَّوا عنها وأعرضوا.

5- أسلوب تأليف القلوب:

يتَّسم المنهج القرآني في مخاطبة بني إسرائيل بالتدرج معهم، والمجادلة بالقول الحسن، كما قال الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}. العنكبوت: 46.

واستخدم كذلك مبدأ تأليف القلوب؛ ففي جانب الوفاء بالعهود قال الله سبحانه: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}. البقرة: 40.

قال السعدي: ({وَأَوْفُوا بِعَهْدِي}: وهو ما عهده إليهم من الإيمان به وبرسله، وإقامة شرعه،{ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ }: وهو المجازاة على ذلك)[23].

وذكر ابن كثير عن ابن عباس: ({أُوفِ بِعَهْدِكُمْ }: أَرْضَ عنكم، وأُدخِلْكم الجنة)[24].

كما استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ معهم؛ مثل: الأمر بصيام يوم عاشوراء عندما عَلِم أنَّ اليهود يصومونه؛ تأليفًا لقلوبهم، ومن قبله كان التوجه في الصلاة إلى بيت المقدس بأمرٍ من الله –سبحانه- للنبي صلى الله عليه وسلم.

6- أسلوب الترغيب والترهيب:

هو أحد أساليب المنهج القرآني؛ إذ يعدُّ وسيلة لتحقيق مبادئه، والوصول إلى أهدافه وغاياته.

وقد أودع الخالق -جلَّ وعلا- في النفوس البشرية غريزتَيِ الخوف والرجاء، فآياتُ الترهيب تُلامِس غريزةَ الخوف، وأمَّا آياتُ الترغيب؛ فتُلامِس غريزة الرجاء.

وقد سلك القرآن الكريم هذا الأسلوب في أخذ العهود على بني إسرائيل؛ ترغيبًا لهم في الوفاء بالعهود التي أخذها الله معهم، وحثهم على ذلك ببيان الأجر، وذكر الثواب، وترهيبًا لهم من نقضها والتولِّي عنها؛ وذلك بذكر ما يترتب على ذلك من العاقبة السيئة في الدارَيْن.

وقد ظهر هذا الأسلوب ترغيبًا وترهيبًا في آية واحدة، ممَّا يبرهن على بلاغة القرآن، فقال سبحانه: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباۖ وقال الله إني معكمۖ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهارۚ فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ۞فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. المائدة: 12-13.

(23) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (50/1).

(24) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (242/1).

فرغَّبهم الحق -عزَّ وجلَّ- بتكفير السيئات ودخول الجنَّات لمن التزم أوامر الله، وأوفي بعهده، كما رهب مَن يتولَّى منهم ويُعرض عنهم باللَّعنة، وهي الطرد من رحمة الله ، وبقساوة القلوب، وغيرها من العاقبة السيئة والمآل المُخزي.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على نقض بني إسرائيل للعهود

عُرف بنو إسرائيل بنقضهم للعهود والمواثيق، حتى أصبحت هذه الصفة الذَّميمة متأصِّلةً في نفوسهم، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الطبيعة عنهم، فقال الله سبحانه: {الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} الأنفال/56.

وتعتبر عادة نقض العهود إحدى صفاتهم السيئة، ومن جملة الصفات التي لا تكترث إلى القِيَم والفضائل؛ فقد يهتمون بالمعاهدات، ولكن بدافع المصالح الشخصيَّة والأغراض الدنيوية فقط.

قال مصطفى مسلم: (ينظر اليهود إلى العهود والمواثيق التي يوقعونها مع غيرهم أنَّها توقع للضرورة، ولغرض مرحلي، ولمقتضيات مرحلية آنيَّة؛ فإذا استُنفذ الغرض نقض اليهودُ الميثاقَ من غير استشعار بأيِّ اعتبار خُلُقي، أو التزام أدبي)[25].

ويعتبر نقض العهد منقصةً للإنسان؛ فقد حاد فاعله عن الطريق المستقيم، وبَعُدَ عن امتثال أوامر الله سبحانه، التي أمر بها فقال: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}. الإسراء: 34.

كما ذكر الله سبحانه أهميةَ الوفاء بالعهد، وسمو مكانة الموفين بعهدهم، والثواب العظيم الذي أعدَّه لهم. وبالمقابل، حذَّر من مَغَبَّة نقضِ العهد، وذمَّ الذين لا يلتزمون به.

وكما أنَّ للوفاء بالعهد آثارًا حميدة، فإنَّ لنقضه آثارًا سيئة، منها:

1- اللَّعنة وقسوة القلوب والطبع عليها:

وقد ذكر الله –سبحانه- هذه الآثار السيئة، وهي: الطرد من رحمة الله، والعاقبة السيئة لكل مَن نقض العهد، فقال: {وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}. الرعد: 25.

فتوعَّدهم الله –سبحانه- بالإقصاء من رحمته، ولهم ما يسوءهم في الدار الآخرة.

أمَّا بنو إسرائيل؛ فقد خاطَبَهم الله خطابًا خاصًّا بهم، وبيَّن لهم ما يترتب على نقضهم للعهود، ومجازاتهم بعدَّة عقوبات كما في قوله: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. المائدة: 13.

قال ابن عاشور: (اللعنُ هو الإبعاد، والمراد هنا: الإبعاد من رحمة الله، ومن هديه إذ استوجبوا غضب الله لأجل نقض الميثاق، وجعلنا قلوبهم قاسية؛ قساوة القلب مجازًا... استُعِيرت لعدم تأثر القلوب بالمواعظ والنذر...)[26].

2- الخسران:

كما في قوله سبحانه: {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}. البقرة: 27.

(25) مصطفى مسلم: نقض العهود والمواثيق من جبلة اليهود، شبكة الألوكة، بتاريخ 2014/2/3م.

(26) ابن عاشور، التحرير والتنوير (143/6).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (كان عاقبة نقض قريش العهدَ مع خزاعة -حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم- أن غَزَاهم المسلمون حتى فتحوا مكة، واضطروا إلى طلب الأمان، وصاروا بعد العزة والقوة في غاية الوهن، إلى أن دخلوا في الإسلام وأكثرهم لذلك كاره)[27].

فهذا الضعف والخسران الذي حدث لهم في الدنيا أكبرُ دليلٍ على ما ذكره الله –سبحانه- في شأن هؤلاء.

3- تحريم الطيبات عليهم:

قال الله تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا}. النساء:160. والظلم هنا هو نقضهم للعهود الذي كان سببا في تحريم الطيبات عليهم .

قال الشوكاني: (وقال الزجاج: هذا بدل من قوله: {فبما نقضهم})[28].

4- القتل والتشريد:

قال الله سبحانه: {ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ}. الأنفال: 56- 57.

قال سيد قطب: (هؤلاء الذين ينقضون كلَّ عهدٍ أبرموه؛ ليتجردوا بذلك عن خصيصة إنسانية –خصيصة التقيد بالعهد– وانطلقوا من كل قيد كما تنطلق البهيمة، لولا أنَّ البهيمة مقيدة بضوابط فطرتها)[29].

كما نفي الله –سبحانه- عنهم كذلك صفة التقوى: {وهم لا يتقون}؛ فهم لا يتقون الله في نقضهم للعهود. ولا يخشونه فيما يفعلون .

5- لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. آل عمران: 77.

أعدَّ الله –سبحانَه- كلَّ هذه العقوبات لبني إسرائيل، الذين نقضوا ما عاهدوا عليه الله؛ من الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، والأيمان التي كانوا يحلفون أنَّهم سيؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وينصرونه.

قال الشوكاني: (الموصوفون بهذه الصفة: {لا خلاق لهم في الآخرة}: لا نصيبَ، {ولا يكلمهم الله} بشيء...أو لا يكلمهم بما يسرُّهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة نظرَ رحمةٍ؛ بل يسخط عليهم ويُعذِّبُهم بذنوبهم)[30].

هذي هي الآثار التي ترتبت على نقض بني إسرائيل للعهود، ولا شك أنَّها آثار سيئة؛ وذلك لأنَّه من الرذائل التي تولد في القلب النفاق.

الخاتمة

أولًا: النتائج:

توصَّلت الباحثة من خلال البحث إلى النتائج الآتية:

1- ورود لفظ (عهد) في القرآن الكريم عدة مرات، وتكراره بمعانٍ مختلفة؛ ممَّا يؤكد أهميته.

---

(27) صالح بن حميد، وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (144/11).

(28) الشوكاني، فتح القدير (618/1).

(29) سيد قطب، في ظلال القرآن (1541/10).

(30) الشوكاني، فتح القدير (١/ ٤٠٤).

2- اتخذ القرآن الكريم منهجًا فريدًا في مخاطبة بني إسرائيل، ويتمثل في تنوع الأساليب بما يتفق مع طبائعهم وميولهم.
3- يتَّصف المنهج القرآني بالواقعية في معالجته لقضية العهود مع بني إسرائيل.
4- تنوع العقوبات المترتبة على نقض بني إسرائيل للعهود في آيات خاصة بهم، تُبيِّن الجزاء على ذلك في الدنيا والآخرة.
5- يبين المنهج القرآني -في نصوص صريحة- كثيرًا من الأحكام التي تتعلق بالأخلاق، ومن بينها الوفاء بالعهود.
6- أخذ العِظَة والعبرة ممَّا حدث لبني إسرائيل، ومِن ثَمَّ الاهتمام بالعهود، والوفاء بها.
7- تظل القواعد والأسس والضوابط التي وضعها الإسلام، هي الأساس في إصلاح الفرد والمجتمع.

ثانيًا التوصيات:

1- غرس الأخلاق الفاضلة في نفوس النشء، وتعويدهم عليها منذ الصغر؛ مثل: الوفاء بالعهد.
2- اهتمام أهل العلم وأئمة المساجد بتحذير المسلمين من التهاون في الوفاء بالعهود، وأن يُدركوا آثار نقضِها؛ وبذلك تتعافى المجتمعات.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن حميد، صالح، وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع– جدة، ١٩٩٨م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية – بيروت، 1419هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ١٤١٤هـ.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار القلم- دمشق، بدون تاريخ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة- بيروت، 1422هـ.
- التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٩٦م.
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1403هـ.
- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، بدون تاريخ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1420هـ.
- الشوكاني، علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، 1414هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 2000م.
- العمر، ناصر، العهد والميثاق في القرآن الكريم، مكتبة عين الجامعة، بدون تاريخ.

- الفتني، محمد طاهر، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد، 1967م.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية- القاهرة، 1964م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق- بيروت، 1423هـ.
- الماوردي، على محمد البغدادي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بدون تاريخ.
- مصطفى، هاني خضر، أسلوب التفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن، جامعة النجاح الوطنية- فلسطين، 2012م.

المواقع:

- مسلم، مصطفى، نقض العهود والمواثيق من جبلة اليهود، بتاريخ 2014/2/3م، شبكة الألوكة cultra : https://www.alukah.net
- معالم قرآنية في تاريخ اليهود، بتاريخ 2009/1/8م، موقع إسلام ويب: https://www.slamweb